في الممارسة العملية

في العلاقة بين المعرفة و الممارسة العلمية

- **سلسلة كراسات ماركسية (6)**

إشراف: سلامة كيلة

- **الطبعة الأولى: 2008**
- **منشورات الوعي الجديد**

في الممارسة العملية

في العلاقة بين المعرفة و الممارسة العلمية

ماوتسي تونغ

مقدمة

كتب ماو تسي تونغ هذه الدراسة الهامة من أجل نقد نزعة الجمود العقائدي، مستنداً إلى أن "الماركسية ليست عقيدة جامدة بل هي مرشد للعمل". وذوي النزعة الجامدة كانوا يقنعون بالتقاط شذرات من نصوص الكتب الماركسية دون أن يهضموها، ليهولوا بها على الناس. في المقابل كان هناك نزعة أخرى هي النزعة التجريبية التي تحصر كل

المسألة في التجارب الشخصية الجزئية، متجاهلين أهمية النظرية بالنسبة للممارسة العملية. وبالتالي كانوا يعملون على غير هدى رغم أنهم يبذلون في العمل الجهود المضنية.

وبالتالي، يتناول هذا الكراس عملية المعرفة، عملية اكتساب المعرفة وآلياتها: من الحسي إلى العقلي. متجاوزاً عبر النقد النظرتين التجريبية التي تقف عند الحسي، والمثالية التي تكتفي بالعقلي.

لكن المسألة الأخرى التي يتناولها، والتي أضافتها الماركسية، هي أن هذه المعرفة العقلية يجب أن تعود لتوجه الممارسة. أن تهدي الممارسة. وهي حالئذ تخضع للتغيير كذلك، في اللحظة التي تلعب فيه هذا الدور، لأن صحتها توضع على المحك، عبر تحوّلها إلى ممارسة. من هنا تنشأ ضرورة تدقيق الأفكار. وهذه هي فاعلية الجدل المادي.

ربما كنا بحاجة إلى أن نعرف عملية تكون الوعي. وإذا كان الجمود العقائدي هو السمة الغالبة عندنا، فإن الارتداد الذي حدث غلّب النزعة الحسية. حيث أن الغالب يقف عند الحسي، الذي هو الشكل، في سكونه. كنقيض للدوغما السابقة. ولهذا نعيش مشكل الوعي الماركسي.

والنص لم يكن بحاجة إلى شرح لأنه واضح. فقط شطبت بضع كلمات.

سلامة كيلة

العلاقة بين المعرفة والعمل

كانت المادية قبل ماركس تنظر إلى قضية المعرفة بمنأى عن طبيعة الإنسان الاجتماعية وبمعزل عن تطوره التاريخي، ولذلك لم يكن في مقدورها أن تدرك تبعية المعرفة للممارسة العملية الاجتماعية، أي تبعية المعرفة للإنتاج والصراع الطبقي.

أما الماركسيون فيعتبرون أولا وقبل كل شيء أن نشاط الإنسان في الإنتاج يشكل أهم نشاطاته العملية الأساسية ويقرر نشاطاتها الأخرى. فالإنسان بالاعتماد بصورة رئيسية على نشاطه في الإنتاج المادي، يتفهم تدريجياً ظواهر الطبيعة وخصائصها والقوانين التي تتحكم فيها، والعلاقة بين الإنسان وبين الطبيعة؛ وكذلك يتفهم تدريجياً وعلى درجات متفاوتة عن طريق نشاطه في الإنتاج ما يربط بين الإنسان من علاقات معينة. ولا يمكنه الحصول على أي معرفة من هذه المعارف بمعزل عن النشاط في الإنتاج. ففي المجتمع اللاطبقي يتعاون كل امرئ، بوصفه

فرداً من المجتمع، مع أفراد المجتمع الآخرين، ويرتبط معهم بعلاقات إنتاج معينة، ويسهم في النشاط الإنتاجي من أجل حل مشكلة حياة الإنسان المادية. أما في مختلف المجتمعات الطبقية فإن أفراد المجتمع من مختلف الطبقات يرتبطون فيما بينهم كذلك بعلاقات إنتاج معينة بأشكال مختلفة ويباشرون النشاط الإنتاجي من أجل حل مشكلة حياة الإنسان المادية. وهذا هو المصدر الأساسي لتطور المعرفة البشرية.

إن الممارسة العملية التي يباشرها الإنسان في المجتمع لا تقتصر على شكل النشاط الإنتاجي وحده، بل تتخذ أشكالاً أخرى عديدة – الصراع الطبقي والحياة السياسية والنشاطات العلمية والفنية، وباختصار جميع مجالات الحياة الواقعية في المجتمع. وهي جميعاً مما يساهم فيه الإنسان ككائن اجتماعي.

وهكذا يتوصل، بدرجات متفاوتة، إلى معرفة العلاقات المختلفة بين الناس لا من خلال حياته المادية وحسب، بل من خلال حياته السياسية والثقافية (وكلتاهما مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحياة المادية) أيضاً. ومن بين أشكال الممارسة العملية الاجتماعية هذه، يترك الصراع الطبقي خاصة، في أشكاله المختلفة، أثراً عميقاً في تطور المعرفة البشرية. ففي المجتمع الطبقي يعيش كل إنسان كفرد من

أفراد طبقة معينة، ويحمل كل نوع من أنواع التفكير دون استثناء طابع طبقة معينة.

يعتبر الماركسيون أن النشاط الإنتاجي في المجتمع البشري يتطور خطوة فخطوة من مرتبة دنيا إلى مرتبة عليا، وتبعاً لذلك فإن معرفة الإنسان، بالطبيعة كانت أم بالمجتمع، تتطور أيضاً خطوة فخطوة من مرتبة دنيا إلى مرتبة عليا. أي من معرفة سطحية إلى معرفة عميقة، ومن معرفة وحيدة الجانب إلى معرفة متعددة الجوانب. وفي مرحلة طويلة من التاريخ، لم يكن من الممكن لمعرفة الناس بتاريخ المجتمع أن تتعدى حد المعرفة الوحيدة الجانب، والسبب في ذلك يعود من جهة إلى أن تعصب الطبقات المستغلة (بكسر الغين) كان على الدوام يشوه تاريخ المجتمع، ويعود من جهة أخرى إلى أن النطاق الضيق للإنتاج كان يحد من آفاق الناس. ولم يستطيعوا أن يحصلوا على فهم تاريخي متكامل لتطور تاريخ المجتمع، يحولوا معرفتهم بالمجتمع إلى علم، أي علم الماركسية، إلا عندما ظهرت البروليتاريا الحديثة مع ظهور القوى المنتجة الجبارة، أي الصناعات الكبرى.

ويعتبر الماركسيون أن الممارسة العملية التي يباشرها الإنسان في المجتمع هي وحدها المقياس الذي يختبر به ما إذا كانت معرفة الإنسان بالعالم الخارجي حقيقة أم لا.

والواقع أن معرفة الإنسان لا تثبت صحتها إلا عندما يتوصل من خلال ممارسة العملية الاجتماعية (خلال الإنتاج المادي والصراع الطبقي والتجربة العملية) إلى إحراز النتائج المنشودة. فإذا أراد الإنسان أن يحقق النجاح في عمله، أي يحقق النتائج المنشودة، فعليه أن يجعل أفكاره متفقة مع قوانين العالم الخارجي الموضوعي، فإذا لم تكن أفكاره متفقة مع هذه القوانين فلا بد أن يفشل في الممارسة العملية. وإذا فشل فإنه سوف يستخلص الدرس من فشله ويصحح أفكاره ويجعلها متفقة مع قوانين العالم الخارجي، وعندئذ يستطيع تحويل فشله إلى ظفر، وهذا هو المقصود من قولهم: "الفشل أم النجاح". وقولهم: "كل عثرة تزيد الإنسان فطنة". إن النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة تضع الممارسة العملية في المقام الأول. إذ تعتبر أن معرفة الإنسان لا يمكن أن تنفصل إطلاقاً عن الممارسة العملية، وتنبذ كل النظريات الخاطئة التي تنكر أهمية الممارسة العملية، وتفصل المعرفة عن الممارسة العملية. وهكذا قال لينين : "إن الممارسة العملية أعلى من المعرفة (النظرية) لأنها لا تمتاز بصفة الشمول فحسب، بل تمتاز كذلك بصفة الواقع المباشر."[1] وأن للمادية الديالكتيكية – الفلسفة الماركسية- ميزتين بارزتين: أولاهما صفتها الطبقية، فهي تعلن بصراحة أن المادية الديالكتيكية هي في خدمة

البروليتاريا، والثانية صفتها العملية، فهي تؤكد على تبعية النظرية للممارسة العملية حيث أن النظرية تقوم على أساس الممارسة العملية ثم تعود لخدمة الممارسة العملية.

إن ما يستند إليه المرء لكي يحكم بأن المعرفة أو النظرية حقيقة أو لا، ليس هو الأحاسيس الذاتية بل هو النتائج الموضوعية للممارسة العملية الاجتماعية.

فالمقياس الوحيد لمعرفة الحقيقة هو الممارسة العملية الاجتماعية. إن وجهة نظر الممارسة العملية هي وجهة النظر الأولية والأساسية في النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة[2].

ولكن كيف تنبثق المعرفة البشرية عن الممارسة العملية ثم تعود لتخدم الممارسة العملية؟ سيتضح لنا هذا الأمر إذا ألقينا نظرة على عملية تطور المعرفة.

الواقع أن الإنسان لا يرى في بداية عملية الممارسة العملية سوى ظواهر الأشياء وجزئياتها والروابط الخارجية التي تربط بينها. ومثال ذلك أن بعض الزوار يحضرون إلى يانآن (مدينة في الصين) للوقوف على الأحوال فيها. ففي الأيام الأولى يرون موقعها وشوارعها ومبانيها. ويقابلون عدداً كبيراً من الناس، ويحضرون الولائم والحفلات المسائية والاجتماعات الجماهيرية، ويسمعون أحاديث

مختلفة ويقرؤون وثائق متعددة. كل هذه هي ظواهر الأشياء وجزئياتها والروابط الخارجية التي تربط بينها. ونسمي هذه المرحلة بالمرحلة الحسية من المعرفة، أي مرحلة الإحساسات والانطباعات. وهذا يعني أن هذه الأشياء المعنية في يانآن تترك أثراً في حواس السادة أعضاء الوفد الزائر وتثير أحاسيسهم وتترك في أذهانهم انطباعات عديدة وصورة عامة عن الروابط الخارجية بين هذه الانطباعات، هذه هي المرحلة الأولى من المعرفة. و لا يستطيع الإنسان بعد في هذه المرحلة تكوين مفاهيم عميقة ولا استخلاص نتائج منطقية.

و باستمرار الممارسة العملية الاجتماعية تتكرر مراراً الأشياء التي تترك أحاسيس وانطباعات في حواس الإنسان في مجرى ممارسته العملية، وعندئذ يحدث في ذهن الإنسان تبدل مفاجئ (قفزة) في عملية المعرفة وتتكون المفاهيم. فعند ذلك لم تعد المفاهيم ظواهر الأشياء ولا جزئياتها ولا الروابط الخارجية التي تربط بينها، بل هي إدراك تام لجوهر الأشياء وكلياتها وروابطها الداخلية. إن المفهوم والإحساس لا يختلفان كمياً فحسب بل كيفياً أيضاً. وإذا مضى الإنسان على هذا النحو واستخدم طريقة الحكم والاستدلال استطاع أن يتوصل إلى استنتاجات تتفق مع المنطق. إن عبارة "قطب حاجبيه فتفتق ذهنه عن حيلة "

التي نقرأها في " قصة الممالك الثلاث"، و"التفكير" في عبارة " دعني أفكر" في لغتنا المتداولة تعبران عن عملية الحكم والاستلال التي يقوم بها الإنسان في عقله مستعينا بالمفاهيم. وهذه هي المرحلة الثانية من المعرفة. (إن السادة أعضاء الوفد الزائر بعد أن يجمعوا معلومات مختلفة "ويفكروا فيها"، يستطيعون أن يتصلوا إلى الحكم التالي: "إن سياسة الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان التي يدعوا إليها الحزب الشيوعي هي سياسة حازمة وصادقة وحقيقية". وبعد التوصل إلى هذا الحكم يمكنهم، إذا كانوا مخلصين كذلك للوحدة من جل إنقاذ الوطن، أن يتقدموا خطوة أخرى ويصلوا إلى هذه النتيجة: "إن في استطاعة الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان أن تتكلل بالنجاح". إن مرحلة تكوين المفاهيم والحكم والاستدلال هي مرحلة أكثر أهمية في كل عملية المعرفة البشرية بشيء ما، وهي مرحلة المعرفة العقلية. إن المهمة الحقيقية للمعرفة تكمن في التقدم إلى التفكير عن طريق الإحساس، وإلى الإدراك التدريجي للتناقضات الكامنة في داخل الأشياء الموضعية ولقوانينها والروابط الداخلية التي تربط بين عملية وأخرى، أي التوصل إلى المعرفة المنطقية. دعوني أكرر : إن السبب في اختلاف المعرفة المنطقية عن المعرفة الحسية يعود إلى أن المعرفة الحسية تتعلق بجزئيات الأشياء وظواهرها

وروابطها الخارجية، في حين أن المعرفة المنطقية تتقدم بالمعرفة الحسية خطوة كبيرة إلى الأمام فتتوصل إلى إدراك كليات الأشياء وجوهرها وروابطها الداخلية وتكتشف التناقضات الكامنة في العالم الخارجي، وبهذا فإن المعرفة المنطقية تتمكن من تفهم تطور العالم الخارجي في مجموعه وفي الروابط الداخلية بين جميع جوانبه.

إن هذه النظرية المادية الديالكتيكية عن عملية تطور المعرفة، التي تقوم على أساس الممارسة العملية، والقائلة بتطور المعرفة من معرفة سطحية إلى معرفة عميقة، لم يتوصل إليها أحد على هذا النحو قبل ظهور الماركسية. ولقد حلت نظرية المادية الماركسية لأول مرة هذه المشكلة حلاً صحيحاً، إذ بينت بأسلوب مادي وديالكتيكي حركة تعمق المعرفة، حركة تقدم الإنسان ككائن اجتماعي، من المعرفة الحسية إلى المعرفة المنطقية خلال ممارساته العملية المعقدة والمتكررة باستمرار في الإنتاج والصراع الطبقي. قال لينين: " إن تجريدات المادة وأحد قوانين الطبيعة والقيمة...الخ، وباختصار كل تجريد علمي (صحيح وجدي وليس باطلاً)، ليعكس الطبيعة بصورة أعمق واصدق وأكمل[3]". أن الماركسية اللينينية ترى أن لكل من مرحلتي عملية المعرفة خصائصها، وهي أن المعرفة في مرحلتها الجنينية تتميز بأنها حسية، وفي مرحلتها العليا

تتميز بأنها منطقية، ومع ذلك فكلتاهما مرحلة في عملية واحدة من المعرفة. إن الإحساس والعقل يختلفان من حيث الطبيعة ولكن لا ينفصل أحدهما عن الآخر، أنهما موحدان على أساس الممارسة العملية. إن ممارستنا العملية تثبت أن ما نحسه لا يمكن أن ندركه على الفور، وأن ما ندركه هو وحده الذي يمكن أن نحسه بصورة أعمق. إن الإحساس لا يحل سوى مسألة الظواهر، والنظرية وحدها تستطيع حل مسألة الجوهر. بيد أن هاتين المسألتين لا يمكن حلهما بأي حال من الأحوال بمعزل عن الممارسة العملية. فإذا أراد أي شخص أن يفهم أس شيء من الأشياء، فليس له من سبيل إلى ذلك سوى الاحتكاك بهذا الشيء، أي العيش (الممارسة العملية) في محيطه. فقد كان من المستحيل على المرء أن يدرك مقدماً قوانين المجتمع الرأسمالي وهو يعيش في المجتمع الإقطاعي، إذ أن الرأسمالية لم تكن قد ظهرت بعد، ولذلك فإن الممارسة العملية التي تتفق معها لم تكن قد وجدت أيضاً. إن الماركسية لا يمكن أن تظهر إلى الوجود إلا كنتاج للمجتمع الرأسمالي. ولم يكن بمقدور ماركس، في عصر الرأسمالية الحرة، أن يدرك مقدماً وبصورة محددة بعض القوانين الخاصة بعصر الإمبريالية، إذ أن الإمبريالية – آخر مراحل الرأسمالية- لم تكن قد ظهرت بعد إلى حيز الوجود، وكذلك الممارسة العملية التي تتفق معها لم تطن قد

ظهرت بعد، فكان في استطاعة لينين وحده الاضطلاع بهذه المهمة. إذا استثنينا شرط العبقرية فإن السبب الرئيسي في قدرة ماركس وانجلز ولينين على صياغة نظرياتهم يعود إلى مساهمتهم شخصياً في ممارسة الصراع الطبقي والتجربة العلمية في زمانهم. ولولا وجود هذا الشرط الأخير لما استطاع أي عبقري أن يحرز النجاح. إن القول السائر " يستطيع المثقف أن يعرف كل ما يجري في العالم دوم أن يتخطى عتبة داره"، كان في العصور القديمة المتأخرة تكنيكياً ليس إلا عبارة جوفاء بعيدة عن الواقع، أما في عصرنا المتطور تكنيكيا، فعلى الرغم من أن هذا القول قد يصبح حقيقة واقعة، إلا أن الذين يملكون المعرفة المباشرة الحقيقية هم من ينخرطون في الممارسة العملية من سكان العالم.

يكتسب هؤلاء الناس "المعرفة" خلال ممارستهم العملية، ثم تنتقل إلى "المثقف" بواسطة الكتابة والوسائل التكنيكية، وعندئذ فقط يستطيع المثقف أن " يعرف كل ما يجري في العالم" بطريقة غير مباشرة. وإذا ما أردت أن تعرف بصورة مباشرة شيئاً من الأشياء أو عدة أشياء، فلا بد لك أن تساهم شخصيا في النضال العملي الذي يهدف إلى تغيير الواقع،- تغيير ذلك الشيء أو تلك الأشياء، وعندئذ تستطيع أن تحتك بظواهر ذلك الشيء أو تلك الأشياء. كما أنك لا

تستطيع أن تكشف وتفهم جوهر ذلك الشيء أو تلك الأشياء إلا عن طريق المساهمة الشخصية في النضال العملي الذي يهدف إلى تغيير الواقع. هذه هي طريق المعرفة التي يسلكها كل امرئ بالفعل، غير أن بعض الناس يزعمون عكس ذلك عامدين إلى تشويه الأمور. وأكثر الناس مدعاة للسخرية هو العالم" الذي ما أن يلتقط فتاتاً من المعرفة عن طريق السماع حتى يعتبر نفسه "العلامة الفريد في العالم"، وهو أمر لا يدل إلا على عجزه عن تقدير نفسه تقديراً صحيحاً. المعرفة هي مسألة علم، فلا يجوز أن يصاحبها أدنى شيء من الكذب والغرور، بل المطلوب هو العكس بكل تأكيد أي الصدق والتواضع. إذا أردت اكتساب المعرفة فلا بد أن تشارك في الممارسة العملية التي تهدف إلى تغيير الواقع، فإذا رغبت في معرفة طعم الكمثرى فلا بد أن تغير الكمثرى، أي تأكلها بنفسك، وإذا أردت أن تعرف تركيب الذرة وخصائصها فلا بد أن تقوم بتجارب فيزيائية وكيميائية بغية تغيير حالة الذرة، وإذا أردت أن تعرف نظرية الثورة وطرائقها فلا بد أن تشترك في الثورة. إن جميع المعارف الحقة تنبع من التجربة المباشرة. ولكن يستحيل على المرء أن يجرب كل شيء تجربة مباشرة، والواقع أن معظم معارفنا قد حصلنا عليها من التجربة غير المباشرة، وأعني بها كل المعارف المكتسبة في العصور

القديمة والبلدان الأجنبية. وهذه المعارف مكتسبة من التجربة المباشرة عند القدامى والأجانب، فإذا كانوا اكتسبوها في مجرى تجربتهم المباشرة على نحو متفق مع شرط "التجريد العلمي" الذي تحدث عنه لينين وكانت تعكس الأشياء الموضوعية بصورة علمية، فهي معارف يركن إليها، وإلا فهي ليست كذلك. وهكذا فإن معرفة الإنسان لا تعدو هذين القسمين: التجربة المباشرة والتجربة غير المباشرة. وفضلاً عن ذلك فإن ما هو تجربة غير مباشرة عند شخص معين هو عند غيره تجربة مباشرة. وهكذا فإن المعرفة من أي نوع كانت، إذا اعتبرنا المعرفة ككل، لا يمكن أن تنفصل عن التجربة المباشرة. إن كل معرفة هي تنبع من إحساس الإنسان بالعالم الموضوعي بواسطة حواسه. ومن ينكر الإحساس وينكر التجربة المباشرة وينكر المساهمة الشخصية في الممارسة العملية الرامية إلى تغيير الواقع، فهو ليس بمادي. وهذا هو السبب في أن "العالم " يبعث على السخرية. وهناك مثل صيني قديم يقول: "كيف تستطيع أن تحصل على أشبال النمر إذا لم تدخل عرينه؟". وهذا القول يعتبر حقيقة تنطبق على الممارسة العملية التي يباشرها الإنسان، وكذلك على نظرية المعرفة. فلا يمكن أن تكون هناك معرفة منعزلة عن الممارسة العملية.

وفي سبيل إيضاح حركة المعرفة المتفقة مع المادية

الديالكتيكية والقائمة على أساس الممارسة العملية التي تهدف إلى تغيير الواقع.- حركة التعمق المتدرج للمعرفة، نقدم فيما يلي بضعة أمثلة محددة أخرى.

فيما يتعلق بمعرفة المجتمع الرأسمالي فإن البروليتاريا، خلال الفترة الأولى من ممارستها العملية. فترة تخريب الآلات والنضال العفوي، كانت لا تزال في مرحلة المعرفة الحسية، إذ لم تكن قد عرفت سوى الجوانب والروابط الخارجية لظواهر الرأسمالية. وفي ذلك الوقت كانت البروليتاريا لا تزال " طبقة في ذاتها". ولكن حينما بلغت هذه الطبقة الفترة الثانية من ممارستها العملية، فترة النضال الاقتصادي والنضال السياسي الواعيين والمنظمين، تمكنت من إدراك جوهر المجتمع الرأسمالي وعلاقات الاستغلال بين الطبقات الاجتماعية ومهمة البروليتاريا التاريخية، بفضل ممارستها العملية وتجاربها المكتسبة في نضالات طويلة الأمد، وبفضل تثقفها بالنظرية الماركسية التي هي نتاج لما قام به ماركس وانجلز من تلخيص لهذه التجارب

المتنوعة وفق أسلوب علمي، وعندئذ أصبحت هي " طبقة لذاتها".

وينطبق نفس الحال على معرفته الشعب الصيني بالإمبريالية. فقد كانت المرحلة الأولى من معرفة بها مرحلة معرفة حسية وسطحية تجلت في نضالاته المنطلقة من كراهيته للأجانب دون تمييز، كحركة مملكة التايبينغ السماوية وحركة يى خه توان وغيرهما من الحركات. ولم يبلغ الشعب الصيني مرحلة المعرفة العقلية إلا في المرحلة الثانية عندما اتضحت له مختلف التناقضات الداخلية والخارجية للإمبريالية، وتجلت له حقيقة تحالف الإمبريالية مع الطبقة الكومبرادورية والطبقة الإقطاعية في الصين في سبيل امتصاص دماء الجماهير الغفيرة من الشعب الصيني. ولم تبدأ هذه المعرفة إلا أيام ما قبل حركة 4 مايو (أيار) 1919 وما بعدها.

ولننظر الآن إلى الحرب. إذا كان أولئك الذين يوجهون

عمليات الحرب يفتقرون إلى الخبرة العسكرية فإنهم لن يفهموا في المرحلة البدائية القوانين المتسمة بالعمق والتي تتحكم في حرب معينة (مثل حرب للثورة الزراعية التي خضناها في السنوات العشر المنصرمة). فهم لا يمرون في المرحلة البدائية إلا بتجارب معارك عديدة بل ويتعرضون كثيرا للهزائم. ولكن هذه التجارب (تجارب المعارك الظافرة وعلى الأخص تجارب المعارك الخاسرة) سوف تمكنهم من أن يدركوا ما يكمن في تلك الحرب كلها ويتحكم فيها، أي قوانين تلك الحرب المعينة، ويفهموا ما يجب اتخاذه من استراتيجية وتكتيك، وبالتالي يستطيعون أن يواجهوا هذه الحرب بقلوب مفعمة بالثقة. وإذا ما حل محلهم في مثل هذا الوقت أشخاص آخرون عديموا الخبرة لتوجيهها، فإنهم لن يستطيعوا هم الآخرين أن يفهموا القوانين الحقيقية للحرب إلا بعد ما يعانون عدداً من الهزائم (أي بعد ما يكتسبون خبرة).

كثيراً ما نسمع بعض الرفاق يقول حينما لا يجرؤ على قبول عمل يوكل إليه : " لا أملك الثقة". ولمَ لا يملك الثقة ؟ لأنه لا يفهم مضمون هذا العمل وظروفه بصورة منتظمة، أولاً لأنه لم يحتك بهذا النوع من العمل مطلقاً، أو لم يحتك به إلا قليلا، وبالتالي فلا يستطيع التحدث عن القوانين التي تتحكم في هذا العمل. فإذا حللت له طبيعة العمل وظروفه تحليلاً مفصلاً فإنه سيكتسب نوعاً من الثقة ويرغب في القيام به. ثم إذا اكتسب هذا الشخص تجربة بشأن هذا العمل بعد أن قام به فترة من الزمن، وكان فضلاً عن ذلك يجهد في النظر إلى الأمور بدون تحيز أو تعصب، وليس ممن ينظرون إلى القضايا وفقاً لتصوراتهم الذاتية ومن زاوية واحدة وبصورة سطحية، فسوف يستطيع أن يستخلص بذاته النتائج بشأن كيفية القيام بعمله، وعندئذ ستزداد جرأته على العمل لدرجة كبيرة. إن الذين ينظرون إلى الأمور وفقاً لتصوراتهم الذاتية ومن زاوية واحدة وبصورة سطحية هم وحدهم الذين ما إن يصلون إلى مكان ما حتى يتسرعوا، مستبدين بآرائهم في إصدار الأوامر والتوجيهات حول أمر من الأمور، دون أن ينظروا إلى الظروف المحيطة بذلك الأمر، ولا إلى الأمر في مجموعه (أي إلى تاريخه ووضعه والروابط الداخلية مع جوانبه)، وقبل أن يصلوا إلى جوهر الأمر (أي طبيعته والروابط الداخلية بينه وبين

الأمـور الأخـرى)، أن أمثـال هـؤلاء لابـد أن يتعثـروا ويسقطوا.

وهكذا نجد أن الخطوة الأولى في عملية المعرفة هي الاحتكاك بالأشياء الموجودة في العالم الخارجي، وهذه هي مرحلة الإحساس. أما الخطوة الثانية فهي تجميع المعطيات الحسية وترتيبها وصهرها، وهذه هي مرحلة تكوين المفاهيم والحكم والاستدلال. ونحن لا نستطيع تكوين مفاهيم صائبة والتوصل إلى منطق سليم على أساس المعطيات الحسية إلا إذا كانت هذه المعطيات غنية جداً (وليست جزئية أو ناقصة) ومتفقة مع الواقع (ليست وهمية أو كاذبة).

وينبغي هنا أن نركز على نقطتين هامتين، فأولاهما قد ذكرت فيما سبق ولكن يجب تكرارها هنا، ألا وهي مسألة توقف المعرفة العقلية على المعرفة الحسية. فمن يحسب أنه يمكن للمعرفة العقلية ألا تنبع من المعرفة الحسية فهو مثالي. وفي تاريخ الفلسفة يوجد ما يدعى بـ "المذهب العقلي" الذي يعترف فقط بحقيقة العقل ولا يعترف بحقيقة التجربة إذ يعتبر أن العقل وحده يمكن الركون إليه، أما التجربة الحسية فلا يمكن الركون إليها. إن خطأ هذا المذهب يكمن في أنه قلب الحقائق رأساً على عقب. وكون المعرفة العقلية يمكن الركون إليها يعود، على وجه التحديد، إلى أنها نابعة من الإدراك الحسي, وإلا لأصبحت ماء دون ينبوع أو

شجرة دون جذور، شيئا إنما نشأ في ذهنه بصورة عفوية، شيئا لا يمكن الركون إليه. وإذا نظرنا إلى تسلسل عملية المعرفة وجدنا التجربة الحسية تأتي أولاً، والسبب في أننا نشدد على أهمية الممارسة العملية الاجتماعية في عملية المعرفة يعود بالضبط إلى أن الممارسة العملية الاجتماعية وحدها تمكن الإنسان من البدء في تحصيل المعرفة وتحصيل التجربة الحسية من العالم الموضوعي. أما المرء الذي ينفصل كلياً عن العالم الموضوعي مغمضاً عينيه وساداً أذنيه، فلا يمكن أن تكون لديه أية معرفة. إن المعرفة تبدأ مع التجربة وهذه هي المادية حول نظرية المعرفة.

أما النقطة الثانية فهي حاجة المعرفة إلى التعمق، أي حاجة المعرفة إلى التطور من المرحلة الحسية إلى مرحلة عقلية. هذا هو الديالكتيك حول نظرية المعرفة[4]. فإذا ظن المرء أن المعرفة يمكن أن تتوقف عند المرحلة الحسية، وهي مرحلة دنيا، وأن المعرفة الحسية هي وحدها التي يعتمد عليها من دون المعرفة العقلية، فإن هذا يعني تكراراً لأخطاء "المذهب التجريبي" في الماضي. إن أخطاء هذه النظرية تكمن في عجزها عن فهم الحقيقة التالية: على الرغم من أن المعطيات الحسية تعكس بعض الحقائق في العالم الموضوعي (لا أتحدث هنا عن المذهب التجريبي المثالي الذي يقصر التجربة على ما يدعى بالتأمل الباطني)،

إلا أنها مجرد معطيات جزئية وسطحية لا تعكس الأشياء بصورة كاملة، معطيات لا تعكس جوهر الأشياء. فلكي يعكس شيء بكامله ويعكس جوهره وقوانينه الباطنية، لا بد من صهر تلك المعطيات الحسية الغنية عن طريق التفكير باستبعاد ما هو قليل الأهمية منها واستخلاص ما هو عظيم النفع، ونبذ الكاذب منها وإبقاء للصحيح المعتمد عليه، ثم الربط بين هذه المعطيات والنفوذ من ظواهر الأشياء إلى دخائلها وخفاياها، وذلك لأجل تكوين مفاهيم ونظريات في شكل منسق. أي لا بد من تحقيق قفزة من المعرفة الحسية إلى المعرفة العقلية. وأن هذه المعرفة التي تم صهرها لم تصبح معرفة أكثر بعدا عن الواقع وأقل أهلية لأن يركن إليها، بل هي على نقيض ذلك، إذ أن كل ما تم صهره خلال عملية المعرفة بصورة علمية وعلى أساس الممارسة العملية هو كما قال لينين، يعكس الواقع الموضوعي بصورة أعمق وأصدق وأكمل. أما أصحاب العمل الروتيني الضيقوا التفكير فهم يتصرفون عكس ذلك، إذ أنهم يقدسون التجربة بينما يحتقرون النظرية، ونتيجة لهذا يعجزون عن إدراك العملية الموضوعية ككل فيفتقرون إلى الاتجاه الواضح والنظرة البعيدة المدى، ويرتضون بالنجاحات الوقتية والنظرات الضيقة. وإذا قام أمثال هؤلاء بتوجيه الثورة فسيقودونها إلى زقاق مسدود.

إن المعرفة العقلية تعتمد على المعرفة الحسية، والمعرفة الحسية في حاجة إلى التطور إلى معرفة عقلية، هذه هي النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة. وفي مجال الفلسفة، يعجز كل من "المذهب العقلي" و"المذهب التجريبي" عن إدراك الصفة التاريخية أو الديالكتيكية للمعرفة، وعلى الرغم من أن كلاً منهما يحتوي على جانب من الحقيقة (والمقصود هنا المذهب العقلي والمذهب التجريبي الماديات لا المثاليان)، فكلاهما خاطئ في مجال نظرية المعرفة في مجموعها. إن حركة تطور المعرفة من المرحلة الحسية إلى المرحلة العقلية، هذه الحركة المتفقة مع المادية الديالكتيكية، تنطبق على عملية صغيرة من المعرفة (مثلاً معرفة شيء من الأشياء أو عمل من الأعمال)، وكذلك تنطبق على عملية كبيرة من المعرفة (مثلاً معرفة مجتمع من المجتمعات أو ثورة من الثورات).

بيد أن حركة المعرفة لا تتوقف عند هذا الحد. فإذا ما توقفت الحركة المادية الديالكتيكية الخاصة بالمعرفة عند المرحلة العقلية، فإنها لم تتناول من المشكلة إلا نصفها. وهي عند الفلسفة الماركسية لم تتناول إلا ذلك النصف الذي لا يتمتع بأهمية عظمى. إن الفلسفة الماركسية تعتبر أن المسألة البالغة الأهمية ليست في معرفة قوانين العالم الموضوعي وبالتالي في اكتساب القدرة على تفسيره، بل

هي في استخدام هذه المعرفة في تبديل العالم بصورة فعالة. فالنظرية من وجهة نظر الماركسية هي مهمة، وتتجلى أهميتها في قول لينين: " لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية[5]". ولكن السبب في أن الماركسية تؤكد على أهمية النظرية يعود بالضبط، بل يعود فقط إلى أنها تستطيع توجيه العمل. فإذا كنا نملك نظرية صحيحة ونكتفي بأن نجعل منها موضوعاً لأحاديث لا طائل منها أو نضعها على الرف ولا نطبقها عملياً، فستصبح هذه النظرية، مهما كانت سديدة، عديمة الأهمية. إن المعرفة تبدأ من الممارسة العملية، والمعرفة النظرية التي يتم اكتسابها عن طريق الممارسة العملية، يجب أن تعاد إلى الممارسة العملية مرة أخرى. الدور الفعال للمعرفة لا يتجلى في القفزة الفعالة من المعرفة الحسية إلى المعرفة العقلية فحسب، بل ينبغي أن يتجلى أيضاً- وهذا أكثر أهمية- في القفزة من المعرفة العقلية إلى الممارسة العملية الثورية. إن المعرفة التي تمكننا من استيعاب قوانين العالم يجب أن تعاد إلى الممارسة العملية في سبيل تبديل العالم، يجب أن تعاد لتطبق في ممارسة الإنتاج وفي ممارسة الصراع الطبقي الثوري والنضال الوطني الثوري وكذلك في ممارسة التجارب العلمية. هذه هي عملية اختبار النظرية وتطويرها، هي تكملة لعملية المعرفة. إن مسألة ما إذا كانت نظرية ما منطقية مع

الحقائق الموضوعية أو لا، لم تحل تماما، ولا يمكن أن تحل تماماً، أثناء حركة تطور المعرفة من المرحلة الحسية إلى المرحلة العقلية التي تحدثنا عنها آنفاً. والطريقة الوحيدة لحل هذه المسألة حلاً تاماً هي إعادة المعرفة العقلية إلى الممارسة العملية الاجتماعية، وتطبيق النظرية على الممارسة العملية، لمعرفة ما إذا كانت هذه النظرية توصلنا إلى الهدف المنشود. إن كثيراً من نظريات العلوم الطبيعية تعتبر حقائق، ليس فقط لأنها اعتبرت هكذا عندما وضعها العلماء الطبيعيون، بل لأن الممارسة العملية العلمية دلت بعد ذلك على صحتها أيضاً. وكذلك تعتبر الماركسية اللينينية حقيقة، ليس فقط لأنها اعتبرت هكذا عندما صاغ تعاليمها ماركس وانجلز ولينين بطريقة علمية، بل كذلك لأن الممارسة العملية للصراع الطبقي الثوري والنضال الوطني الثوري قد أثبتت صحتها فيما بعد. إن المادية الديالكتيكية قيقية عامة، ذلك لأنه ما من أحد يستطيع في ممارسته العملية الخروج عن إطارها. ويدلنا تاريخ المعرفة البشرية على أن كثيراً من النظريات كانت ناقصة إذا اعتبرت حقائق، بيد أن هذا النقص أصلح عن طريق اختبارها في الممارسة العملية. إن كثيراً من النظريات كانت خاطئة، ولكن صححت أخطاؤها عن طريق اختبارها في الممارسة العملية. ولهذا السبب بالذات نقول أن الممارسة العملية هي

مقياس الحقيقة، وأن " وجهة نظر الحياة والممارسة العملية، يجب أن تكون وجهة النظر الأولية والأساسية في نظرية المعرفة"[6]. لقد أصاب ستالين عندما قال: "إن النظرية تصبح عديمة الهدف إذا لم ترتبط بالممارية العملية الثورية، وكذلك شأن الممارسة العملية فإنها ستصبح ممارسة على غير هدى إذا لم تنر طريقها نظرية ثورية"[7].

فهل تكتمل حركة المعرفة عند هذا الحد؟ إن جوابنا هو الإيجاب والنفي. فحين يباشر أفراد المجتمع الممارسة العملية بهدف تغيير عملية موضوعية محددة (طبيعية كانت أو اجتماعية) في مرحلة معينة من تطورها، يستطيعون، نتيجة لانعكاس العملية الموضوعية في أذهانهم وبفعل فعاليتهم الذاتية، أن يدفعوا معرفتهم من المرحلة الحسية إلى المرحلة العقلية، وأن يكوّنوا أفكاراً ونظريات ويضعوا خططا ومشاريع تتفق على وجه العموم مع قوانين تلك العملية الموضوعية، ثم يضعون هذه الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع مع التنفيذ في نفس العملية الموضوعية، فإذا نجحوا في تحقيق الأهداف المنشودة، أي إذا استطاعوا أثناء الممارسة في نفس هذه العملية، أن يحولوا ما صاغوه سلفاً من الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع إلى حقائق واقعية، أو استطاعوا ذلك بصورة عامة، يمكن عندئذ أن تعتبر حركة المعرفة مكتملة بالنسبة لهذه العملية المعينة.

مثال ذلك إنجاز مشروع هندسي أو إثبات افتراض علمي أو صنع آلة أو حصاد غلة زراعية في مجرى تغيير الطبيعة، وإنجاح إضراب أو انتصار حرب أو إنجاز خطة تعليمية في مجرى تغيير المجتمع، وكل ذلك يمكن اعتباره تحقيقاً للأهداف المنشودة.

ولكن يندر على وجه العموم أن تتحقق الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع التي صاغها الناس سلفاً، دون أدنى تغيير، سواء أكان ذلك عند الممارسة العملية الرامية إلى تغيير الطبيعة أم تغيير المجتمع. والسبب في هذا يعود إلى أن الذين يباشرون تغيير الواقع يخضعون عادة لكثير من القيود، فهم مقيدون عادة لا بالإمكانيات العلمية والتكنيكية فحسب، بل هم مقيدون كذلك بدرجة تطور العملية الموضوعية وانكشافها (أي أن أوجه العملية الموضوعية وجوهرها لم تكشف بعد بصورة تامة). وفي مثل هذه الحال، كثيراً ما يحدث أن تعدل الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع تعديلاً جزئياً بل تعديلاً كلياً في بعض الأوقات، وذلك بسبب اكتشاف الناس خلال الممارسة العملية أوضاعاً لم يتوقعوها سلفاً. وهذا يعني أن هناك حالات تتعارض فيها الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع الأصلية مع الواقع جزئياً أو كلياً، وهي لذلك خاطئة جزئياً أو كلياً. ولا بد في كثير من الحالات أن يتكرر

الإخفاق مرات عديدة قبل إمكان تصحيح الأخطاء في المعرفة وجعل هذه المعرفة تتفق مع قوانين العملية الموضوعية بحيث يمكن تحويل الشيء الذاتي إلى شيء موضوعي، أي تحقيق النتائج المنشودة خلال الممارسة العملية. وعلى كل حال فإن حركة معرفة الناس لعملية موضوعية محددة في مرحلة معينة من تطورها يمكن أن تعتبر مكتملة في هذا الوقت.

ولكن إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تقدم العملية فإن حركة معرفة الناس لا تكتمل عند هذا الحد. فكل عملية، سواء أكانت في الطبيعة أم في المجتمع، تتقدم وتتطور بفعل تناقضاتها الداخلية والصراعات الناتجة عنها، ولا بد لحركة المعرفة البشرية أن تتقدم وتتطور أيضا وفقا لذلك. وفيما يتعلق بالحركات الاجتماعية فإنه يجب على القادة الثوريين الحقيقيين أن يحسنوا تصحيح أفكارهم ونظرياتهم وخططهم ومشاريعهم حين تبرز فيها الأخطاء، كما قلنا آنفاً، وليس هذا فحسب بل عليهم كذلك، كلما تقدمت عملية موضوعية معينة وتحولت من مرحلة إلى مرحلة أخرى من مراحل التطور، أن يقدروا على تمكين أنفسهم وجميع المشتركين في الثورة من التقدم والتحول في معرفتهم الذاتية وفقاً لذلك، أي يجب عليهم أن يضعوا مهمات ثورية جديدة وبرامج عمل جديدة وفقاً للتبدلات الجديدة التي تطرأ على الوضع.

إن الوضع يتبدل سريعاً في الفترات الثورية، فإذا لم تتبدل معرفة الثوريين بسرعة وفقاً لذلك فلن يكون في استطاعتهم قيادة الثورة إلى النصر.

بيد أنه كثيراً ما يحدث أن يتخلف التفكير عن الواقع، والسبب في ذلك يعود إلى أن معرفة الإنسان مقيدة بظروف اجتماعية عديدة. إننا نعارض المتعنتين في صفوف الثورة، إذ أن تفكيرهم يعجز عن مجاراة تغيرات الظروف الموضوعية فأظهروا أنفسهم تاريخياً في صورة الانتهازية اليمينية. إن هؤلاء الناس لا يدركون أن صراع التناقضات قد دفع العملية الموضوعية إلى الأمام، فبقيت معرفتهم في مرحلتها القديمة. هذه الخاصية الملازمة لتفكير جميع المتعنتين. وبما أن تفكيرهم ينفصل عن الممارسة العملية الاجتماعية، فلا يمكنهم أن يتقدموا ليقودوا عجلة المجتمع، وكل ما يمكنهم عمله هو أن يتخلفوا وراء العجلة متذمرين من سرعتها الفائقة ومحاولين جرها إلى الوراء أو تحويلها في الاتجاه المعاكس.

ونحن نعارض كذلك ثرثرة "اليساريين" الفارغة، إذ أن تفكيرهم يتخطى المرحلة المعينة من مراحل تطور العملية الموضوعية، فيحسب بعضهم الأوهام التي يحملونها كأنها حقائق، وآخرون منهم يتكلفون في الوقت الحاضر تحقيق مثل أعلى لا يمكن أن يتحقق إلا في المستقبل، منعزلين عن

الممارسة العملية الراهنة التي تباشرها غالبية الناس، وعن الواقع الحالي، ويتجسد تفكيرهم هذا عملياً في صورة المغامرة.

إن المثالية والمادية الميكانيكية والانتهازية و المغامرة تتميز جميعها بفصل التفكير الذاتي عن الواقع الموضوعي، وفصل المعرفة عن الممارسة العملية. فلا يسع النظرية الماركسية اللينينية عن المعرفة التي تتميز بالممارسة الاجتماعية العلمية إلا أن تعارض هذه الإيديولوجيات الخاطئة معارضة جازمة. إن الماركسيين يعترفون بأن تطور كل عملية محددة ضمن نطاق عملية التطور العام المطلق للكون هو تطور نسبي، ولهذا فإن معرفة الناس بكل عملية محددة أثناء مرحلة معينة من التطور لا يمكن أن تكون سوى حقيقة نسبية في مجرى الحقيقة المطلقة اللامحدودة. إن مجموع الحقائق النسبية التي لا حصر لها يشكل الحقيقة المطلقة[6]. إن تطور العملية الموضوعية تطور ملئ بالتناقضات والصراعات وكذلك شأن تطور حركة المعرفة البشرية. وإن جميع الحركات الديالكتيكية في العالم الموضوعي يمكن أن تنعكس عاجلاً أم آجلاً في المعرفة البشرية. ونظراً لأن عملية النشوء والتطور والفناء في الممارسة العملية الاجتماعية هي عملية لا متناهية، فان عملية النشوء والتطور والفناء في المعرفة البشرية هي

أيضاً كذلك. وبما أن الممارسة العملية التي يقوم بها الناس لتغيير الواقع الموضوعي وفقاً لأفكار ونظريات وخطط ومشاريع معينة هي في تقدم مستمر، فان معرفتهم بالواقع الموضوعي تتعمق كذلك أكثر فأكثر. ونظراً لأن حركة التغيير في عالم الواقع الموضوعي لا ينتهي أبداً، فإن المعرفة التي يكتسبها الناس عن الحقيقة خلال ممارستهم العملية لا تنهي أبداً كذلك.

إن الماركسية اللينينية لم تختتم الحقيقة، بل إنها تشق دون توقف الطريق لمعرفة الحقيقة، خلال الممارسة العملية. والنتيجة التي استخرجناها هي الوحدة التاريخية المحددة بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي، بين النظرية والممارسة العملية، بين المعرفة والعمل، وعليه فنحن نعارض كل الإيديولوجيات الخاطئة التي تنفصل عن التاريخ المحدد، (يسارية) كانت أم يمينية

لقد وضع التاريخ، في المرحلة الراهنة من تطور المجتمع، على عاتق البروليتاريا وحزبها مسؤولية معرفة العالم معرفة صحيحة، وكذلك تبديل العالم. هذه العملية التي تم تحديدها بناء على المعرفة العلمية قد بلغت في العالم وفي الصين على حد سواء، لحظة تاريخية عظيمة لم يشهدها تاريخ البشرية، لحظة ستبدد فيها البشرية تماماً الظلم الذي يخيم على العالم وعلى الصين وتحل محله عالماً وضاءً لم

يـرَ التـاريخ مثـيلاً لـه. إن نضـال البروليتاريـا والشـعوب الثورية من أجل تغيير العالم يتضمن إنجاز المهمات التالية: تغيير العالم الموضوعي وفي الوقت نفسه تغيير عالمهم الذاتي، تغيير مقدرتهم على اكتساب المعرفة وتغيير العلاقات بين العالم الذاتي والعالم الموضوعي. وقد بدأ تحقيق مثل هذا التغيير في جزء من الكرة الأرضية أي في الإتحاد السوفياتي. ولا يزال الشعب هناك يقوم بدفع عملية هذا التغيير إلى الأمام. أما الشعب الصيني وسائر شعوب العالم فهي بدورها تمر الآن، أو تستمر في المستقبل، بمثل هذه العملية. وهذا العالم الموضوعي الذي يجري تغييره يشتمل على جميع المعارضين لهذا التغيير الذي لابد أن يمروا بمرحلة من التغيير الإجباري قبل أن يدخلوا التغيير الواعي. وعندما تبلغ البشرية جميعها مرحلة تغير فيها نفسها والعالم تغييراً واعياً، يكون العالم قد دخل عصر الشيوعية.

اكتشاف الحقيقة عن طريق الممارسة العملية، وإثبات وتطوير الحقيقة عن طريق الممارسة العملية مرة ثانية. الانطلاق من المعرفة الحسية وتطويرها بصورة فعالة إلى المعرفة العقلية، ثم الانطلاق من المعرفة العقلية لتوجيه الممارسة العملية الثورية بصورة فعالة في سبيل تغيير العالم الذاتي والعالم الموضوعي. والعودة إلى سبيل

الممارسة العملية ثانية، ثم المعرفة أيضا، وهكذا تتكرر العملية إلى ما لا نهاية له، ومع كل دورة يرتفع مضمون الممارسة العملية والمعرفة إلى مستوى أعلى. هذه هي كل النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة، وهذه هي النظرية المادية الديالكتيكية عن وحدة المعرفة والعمل.

هوامش:

1- لينين: "ملخص (علم المنطق) لهيجل".

2 -ماركس: "موضوعات عن فيورباخ". ولينين ":المادية والمذهب النقدي التجريبي" الفصل الثاني، المبحث السادس.

3- لينين: "ملخص (علم المنطق) لهيجل".

4-في سبيل المعرفة، يتوجب على المرء أن يبدأ معرفته ودراسته على أساس التجربة وأن يرتفع من التجربة الى المعرفة العامة." أنظر لينين"ملخص (علم المنطق) لهيجل".

5- لينين: "ما العمل؟"، الفصل الأول، المبحث الرابع.

6- لينـين: "الماديـة والمـذهب النقـدي التجريبـي"، الفصـل الثاني، المبحث السادس.

7- ستالين: "أسس اللينينية"، القسم الثالث.

8- لينـين: "الماديـة والمـذهب النقـدي التجريبـي"، الفصـل الثاني، المبحث الخامس.

سلسلة كراسات ماركسية

صدر فيها:

1-الماركسية: عرض مختصر لينين

2-بصدد الماركسية سلامة كيلة

3-طريق الانتفاضة: لماذا تثور الطبقات الشعبية سلامة كيلة

4-العمل المأجور والرأسمال كارل ماركس

5-رسالة إلى رفيق (مهماتنا التنظيمية) لينين

6- في الممارسة العملية ماوتسي تونغ